

نوايا إسرائيل السلمية

د. محمد عبد العزيز ربيع

كتب السيد هنري سيجمان مقالا مطولا في مجلة " لندن لمراجعة الكتب " تحت عنوان غير عادي:

"The Great Middle East Process Scam"

أي ما يعني: مشروع الاحتيال الكبير المسمى بعملية السلام الشرق أوسطية. ويمكن تلخيص المقال في نقاط رئيسية تقول بأن النخبة الحاكمة في إسرائيل كانت قد توصلت منذ زمن بعيد إلى اتفاق ضمني بعدم السماح بقيام دولة فلسطينية، والعمل على استمرار الدولة اليهودية في احتلال الضفة الغربية، ومواصلة عمليات الاستيطان وبناء المستوطنات والاستيلاء على الأراضي العربية، وتمزيق ما تبقى من الضفة الغربية إلى كتونات تحول دون قيام دولة فلسطينية مستقبلا، واستخدام عملية السلام كغطاء للحصول على الدعم الأمريكي والشرعية الدولية لسياسات الأمر الواقع. إن تلك النخبة اتفقت على عدم السماح بقيام دولة فلسطينية لا تتيح لإسرائيل الاستمرار في السيطرة الاقتصادية والعسكرية على الضفة الغربية.

وقبل الحديث عما جاء في المقال ببعض التفاصيل، أود أن انوه إلى أن السيد سيجمان هو يهودي أمريكي صهيوني متمسك بصهيونيته، إذ عمل على مدى 16 سنة متتالية (1978-1994) رئيسا للكونجرس اليهودي الأمريكي، والذي يعتبر أول أو ثاني أهم منظمة صهيونية في أمريكا، وأنه كان زميلا أولا لمدة 12 سنة (1994-2006) في مجلس العلاقات الدولية الذي يتخذ من مدينة نيويورك مقرا له، والذي يعتبر أهم بنوك العقول الصانعة والموجهة لسياسة أمريكا الخارجية. ومن أهم نشاطات هذا المجلس إصدار مجلة فورن أفيرز، أي الشؤون الدولية، التي تعتبر أهم مجلة من نوعها في العالم. ومنذ عام 2006 تسلم السيد سيجمان منصب مدير المشروع الأمريكي الشرق أوسطي للسلام. ولقد عرفت السيد سيجمان شخصيا واجتمعت به في أواخر الثمانينات وتحدثنا مرارا حول القضية الفلسطينية وعملية السلام، وذلك بعد اعتراف أمريكا بمنظمة التحرير الفلسطينية وبدء عملية الحوار الفلسطيني الأمريكي، وهي العملية التي كانت إحدى أهم الفرص التي أضاعتها قيادة المنظمة كما أضاعت غيرها من فرص ثمينة. لقد كانت آراء السيد سيجمان خلال تلك الفترة وفيما بعد "معتدلة" فيما يتعلق بحل القضية الفلسطينية، إلا أنه كان يصر دوما على حق الدولة اليهودية في الوجود وعلى حصولها على الأمن.

يعود السيد سيجمان في تحليله لعملية الاحتيال الكبرى المسماة بعملية السلام إلى أيام موشي ديان الذي صرح بعد سنة من احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة بأن "الحل للصراع مع الفلسطينيين هو ما يتم تطبيقه اليوم على الأرض.. إن الوضع القائم في الضفة الغربية يجب أن يكون هو الحل الدائم". وبعد عشر سنوات، قال دايان في مؤتمر في إسرائيل إن السؤال الأهم فيما يتعلق بالمشكلة مع الفلسطينيين ليس "ما هو الحل؟ بل كيف يمكن لنا أن نستمر بدون حل"، أي كيف نصنع خطة تسمح لنا باستمرار احتلال الضفة الغربية دون التوصل إلى حل مع الفلسطينيين. ويلاحظ المراقب لمجريات الأمور منذ استلام شارون لمقاليد الحكم، خاصة سياسته وسياسة اولمرت من بعده، ولتصريحات أيهود باراك خلال الأسابيع الأخيرة، أن تغيير الحقائق على الأرض من خلال بناء جدار الفصل العنصري، وإقامة المزيد من نقاط التفتيش، وتنشيط عمليات عزل القرى والمدن الفلسطينية عن بعضها البعض، وتواصل عمليات الاجتياح العسكري للمدن والقرى والمخيمات الفلسطينية تجسد تماما خطة العيش دون حل. وسنحاول في المقال القادم تناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل.

إضافة إلى ذلك، قام سيجمان باقتباس ما قاله بعض قادة إسرائيل السياسيين والعسكريين في السنوات الأخيرة لإثبات ما جاء في مقالته من استنتاجات. إذ قال مستشار شارون في عام 2004 إن خطتنا بالنسبة لعملية السلام هي الحصول على دعم الرئيس بوش والكونجرس الأمريكي لوضع العملية في حالة غيبوبة تامة، تعطي الانطباع بأنها حية، بينما هي ميتة من الناحية العملية. أما موشي ايالون القائد العام السابق للقوات الإسرائيلية فقد قال بأن الخطة تهدف إلى ترسيخ القناعة لدى الفلسطينيين بأنهم شعب مهزوم. وفي العام الماضي، قال مستشار أمير بيرتس وزير دفاع إسرائيل العمالي السابق، إن الجيش يتعاون مع المستوطنين، وأنه يطبق سياسة على الأرض تقوم على التفرقة العنصرية، من أهدافها الرئيسية تفريغ الخليل من المواطنين العرب وتهويد منطقة وادي الأردن والحيلولة دون قيام دولة فلسطينية.

يقول السيد سيجمان إن سياسة الرئيس بوش ورئيس الوزراء الإسرائيلي الحالية لا تهدف إلى تقوية محمود عباس والتوصل إلى حل على أساس إقامة دولتين متجاورتين، بل تهدف إلى إسقاط حكومة حماس. وحيث أنه من غير الممكن أن يقبل الرئيس الفلسطيني بالتنازل عن حق إقامة دولة فلسطينية، فإن خطة بوش اولمرت لن تنجح إلا في تقوية حماس وذلك على حساب الرئيس عباس. إن الادعاء الإسرائيلي بعدم وجود شريك فلسطيني يمكن التفاوض معه، والقول بأن المفاوضات حول الوضع النهائي لا يمكن لها أن تبدأ قبل إصلاح الوضع الفلسطيني والقضاء على المنظمات الإرهابية لا هدف له سوى إعطاء إسرائيل المزيد من الوقت لفرض خطتها على أرض الواقع. يقول سيجمان في هذا المجال، إن تعريف اولمرت للفلسطينيين المعتدلين هم أولئك الذين يقبلون بتقطيع الوطن الفلسطيني إلى كتونات.

ويُحمل السيد سيجمان فشل العملية السياسية وقيام إسرائيل بتحويلها إلى أكبر عملية احتيال في التاريخ إلى موقف الولايات المتحدة وعدم تحمل الرباعية الدولية لمسؤولياتها، وقبولها بالإدعاءات الإسرائيلية بعدم وجود شريك فلسطيني. وهذا يعني، كما يقول سيجمان، "إن عملية السلام في الشرق الأوسط هي أكبر عملية خداع في تاريخ الدبلوماسية في العصر الحديث". لذا يخلص الكاتب إلى القول بأن فشل عملية السلام لا يعود إلى قلة المشاركين أو لغياب الأفكار الخلاقة، ولكن لموقف إسرائيل الذي يرفض التوصل لاتفاق يحقق السلام. وفي ضوء هذا الاستنتاج يقترح السيد سيجمان على مجلس الأمن الدولي إصدار قرار جديد يقوم على ثلاث نقاط رئيسية:

1. التأكيد عدم جواز أي تعديل في الحدود إلا إذا تم ذلك على أساس التراضي بين الطرفين.
2. التأكيد على أن على إسرائيل العودة إلى خطوط ما قبل العام 1967.
3. إعطاء مهلة مدتها سنة للطرفين للتوصل إلى اتفاق لإنهاء النزاع، وفي حالة عدم التوصل لمثل ذلك الاتفاق يقوم مجلس الأمن بوضع بنود الاتفاق الذي يراه مناسباً، ويرسل قوة سلام دولية إلى فلسطين لحفظ الأمن ومساعدة الفلسطينيين على بناء مؤسساتهم، وتأمين أمن إسرائيل، والإشراف على تطبيق الخطة الدولية.

ولمن يريد الاطلاع على المقال زيارة موقعنا الإلكتروني المذكور أدناه، حيث يوجد المقال في القسم الانجليزي تحت زاوية Readers Contribution

للنشر يوم 2007-9-4

د. محمد عبد العزيز ربيع professorrabie@yahoo.com

www.yazour.com

